تأثير الفلسفة و اتجاهاتها في المسار التطوُّري للمنطق التقليدي

The influence of philosophy and its trends on the evolutionary path of traditional Logic

حميدة محلوس¹hamidae35@hotmail.fr جامعة مولود معمري تيزي وزو¹

تاريخ الاستلام: 2023/11/15 تاريخ القبول: 2024/03/26 تاريخ النشر: 2024/06/01

ملخص:

يتمحور موضوع هذا المقال حول تأثير الفلسفة واتجاهاتها في المسار التطوري للمنطق، في المرحلة الممتدة ما بين نشأة المنطق عند اليونان ومرحلة تأسيس المنطق المعاصر بمختلف أشكاله (المنطق الرمزي، الرياضي، المنطق المتعدد القيم... الخ)، حيث تطرقنا للاتجاهات الفلسفية (النزعات الفلسفية) التي كان لها تأثير على المسار التطوري للمنطق، أهمها النزعة الميتافيزيقية، النزعة النفسية، النزعة الاجتماعية، النزعة اللغوية، الوضعية المنطقية .

ومن خلال هذه الدراسة التحليلية تبين لنا أن الاتجاهات الفلسفية التي ظهرت في مراحل تاريخية مختلفة، أثرت على تصورات المناطق، وعلى طبيعة المنطق، وعلى المسار التطوري للمنطق، فلم يتمكن من تحقيق الاستقلال عن الفلسفة لا مع أرسطو ولا بعده، رغم الاعتقاد باستقلال المنطق وأسبقيته على العلوم وعدم حاجته إليها، وهكذا نستنتج أنه كان وبقي للفلسفة واتجاهاتها تأثيراً على المنطق وتطوراتها .

كلمات مفتاحية: المنطق، المنطق التقليدي، تطور المنطق، الاتجاهات

الفلسفية.

Abstract:

The topic of this article revolves around the influence of philosophy and its trends on the evolutionary path of logic, in the stage extending between the emergence of logic in Greece and the stage of establishing contemporary logic in its various forms (symbolic, mathematical, multi-valued logic... etc.), where we touched on philosophical trends (philosophical tendencies).) which had an impact on the evolutionary path of logic, the most important of which are the metaphysical tendency, the psychological tendency, the social tendency, the linguistic tendency, and logical positivism.

Through this analytical study, it became clear to us that the philosophical trends that appeared in different historical stages affected the perceptions of logic, the nature of logic, and the evolutionary path of logic. It was not able to achieve independence from philosophy, neither with Aristotle nor after him, despite the belief in the independence and primacy of logic. On the sciences and his lack of need for them, and thus we conclude that philosophy and its trends have had and continue to have an influence on logic and its developments.

Keywords :logic, traditional logic, development of logic, philosophical trends.

*المؤلف المرسل: حميدة محلوس

1. مقدمة

إذا انطلقنا من فكرة اعتبار المنطق علم قائم بذاته يفترض أن يصبح مستقلاً في تطوراته عن الفلسفة وعن بقية العلوم، خاصة بالنظر إلى الفكرة الشائعة منذ نشأة المنطق عند أرسطو والقائلة بحاجة مختلف العلوم إلى المنطق وعدم حاجته إليها، وإذا ثبت وجود تأثير للفلسفة أو للعلوم الأخرى عليه فإنّ هذا يجعلنا نعيد الاعتبار في فكرة

عنوان المقال: تأثير الفلسفة و اتجاهاتها في المسار التطوّري للمنطق التقليدي

استقلاله وقيامه بذاته وعدم حاجته إلى العلوم، حيث اعتبر أرسطو المنطق علمًا قائمًا بذاته، لا يحتاج إلى العلوم الأخرى، بينما كلّ العلوم تحتاج إليه، لكن إن صحت الفرضية القائلة بأنّ سير تطوراتها واقع تحت تأثير العلوم واستمر ارتباطه بالفلسفة واتجاهاتها يعني أنّه غير مستقل عنها، وللبت في هذا الموضوع نقدم دراسة تحليلية نقدية نحاول من خلالها تحديد دور الاتجاهات الفلسفية في توجيه مسار المنطق.

عندما انفصلت العلوم عن الفلسفة نشأت علاقات أخرى بين المنطق ومختلف هذه العلوم، وظهرت اتجاهات حاولت ضمّ المنطق إليها، نذكر أهمها بهدف تحليل التأثيرات المحتملة للفلسفة واتجاهاتها على المسار التطوري للمنطق، حيث انطلقنا من بعض التساؤلات أهمها:

- ما مدى تأثير الفلسفة واتجاهاتها على المسار التطوري للمنطق؟

- وإلى أي مدى يصحّ القول بأنّ المنطق قائم بذاته مستقل عن الفلسفة واتجاهاتها؟

ولمعالجة هذا الموضوع اعتمدنا على المنهج التحليلي، قسمنا الموضوع إلى

خمس عناصر: 1- النزعة الميتافيزيقية، 2- النزعة النفسية، 3- النزعة الاجتماعية،

4- النزعة اللغوية، 5- الوضعية المنطقية.

وسنحاول فيما يلي التطرق إل تلك الاتجاهات للبحث في مدى خضوع المنطق

لها أو تأثرها بها.

2. النزعة الميتافيزيقية

تدعم النزعة الميتافيزيقية ذلك الارتباط بين المنطق والفلسفة، وحتى القول

بانفصال المنطق عن الفلسفة ليس كافيا لانفصاله تمامًا عن الميتافيزيقا، فلا شك في

وجود واستمرار صلاتها به من ناحية الموضوع والمنهج، فتصوّرات ومسلمات المنطق

وقوانين الفكر، مثل "قانون الهوية" و"قانون عدم التناقض"، و"قانون الثالث

المرفوع"، هي قوانين للفكر، وهي مشتركة بين جميع العلوم، رغم انتمائها إلى المنطق

حسب أرسطو، الذي اعتبرها مبادئ منطقية، لكن لا شك في أنّ لها أصول

ميتافيزيقية.

حميدة محلوس

وكذا المقولات الميتافيزيقية كـ"الجنس" و"النوع" أصبحت مسلّمات في البيولوجيا، و"مبدأ السببية" أو "قانون العلية" في أساسه تصوّر فلسفي، مثله مثل "الاحتمالية" أو "اللّزوم بين علاقات" في أصولها علاقات ميتافيزيقية، وحتى "قانون الاحتمال" سواء في العلوم الطبيعية أو في الرياضيات يمكن رده إلى أصول ميتافيزيقية، ومهما قيل عن استقلال المنطق الأرسطي، إلا أن الحقيقة الواضحة أنه متصل بالمباحث الميتافيزيقية الوجودية للفلسفة الأرسطية، وهذه النزعة سادت في المنطق بعد أرسطو عند تلامذته، وقد أدركوا تمامًا الصلة بين منطق أرسطو وميتافيزيقا (النشار، المنطق الصوري، ص 56)؛ حيث نلاحظ أنّ الكثير من المناطق حاولوا تخليص المنطق من الميتافيزيقا، هذا ما يبدو لنا مثلًا من خلال اتجاهاتهم نحو الصورية، والواقع أنّ تلك المحاولات بحد ذاتها تدلّ على وجود علاقة بين المنطق والميتافيزيقا، بمعنى أنهم حاولوا تخليص المنطق من الارتباط بالميتافيزيقا باللّجوء إلى الصورية الخالصة.

وتتجلى الصلّة بين المنطق والمباحث الفلسفية كذلك عند ديكارت René Descartes (1596-1650م)، عندما رأى الصورة المثالية للضرورة واللّزوم في المنهج الرياضي وفي الاستنباط المنطقي الصوري، أمّا دافيد هيوم David Hume (1711 – 1776م) يرى أنّ الضرورة المنطقية مجرد عادة نفسية مثلها مثل "قانون العلية" الذي يرتبط بالعادة والتكرار لتجارب الماضي، فهي فكرة من أفكار العقل أو موقف ميتافيزيقي سواء كان أساسها الإطار في قوانين الطبيعة، تفسر حتمية القوانين، أو كانت أساس فكرة العلية، في كلا الحالتين هي اعتقاد ميتافيزيقي بأنّ لكلّ معلول علّة، أي أنّ قانون العلية فكرة مسبقة.

وسواء اعتبار "العلية" مجرد مسلمة منطقية يتم قبولها دون برهان لغايتها العملية، أو النظر إليها كنتيجة للتجربة والاستقراء الإحصائي، فنتيجة المشاهدة

عنوان المقال: تأثير الفلسفة و اتجاهاتها في المسار التطوّري للمنطق التقليدي

ترجّح فيها فكرة الاحتمال، مثل هذه الأفكار التي تحمل ذلك الطابع الميتافيزيقي كثيرا ما كان لها انعكاس على المنطق.

وإذا تفحصنا تاريخ تطور المنطق نجد أنّه في الكثير من الأحيان أخذ يتطوّر وفقًا وانسجامًا مع الفلسفة التي يعتنقها الفيلسوف أو المنطقي الذي يحمل على عاتقه مهمّة تطوير المنطق أو تجديده أو بناء نظرية منطقيّة ما أو تطويرها أو أي تغيير يمسّ مبادئ أو قواعد أو نظريات منطقيّة، ولهذا كثيرا ما نلاحظ أن المنطق المطروح من قبل الفيلسوف متسق مع الاعتقادات الفلسفية له، وأحيانًا تكون الإسهامات المنطقيّة تابعة للدراسات الفلسفية، يهدف بها أصحابها إلى استكمال بناء أنساقهم الفلسفية، حتى إن لم يصرحوا بوجود علاقة بين منطقتهم وفلسفاتهم.

في هذا السياق يوضّح ديوي بأنّ: «المنطق من حيث الأصول الأولية لمادته مشتق من المذهب الفلسفي، بحيث تجيء وجهات النظر المختلفة إلى موضوع دراسته، معبّرة في النهاية عن فلسفات مختلفة، ثم تعود النتائج التي ينتهي إليها المنطق فتتخذ أداة لتأييد الفلسفات التي ما كانت تلك النتائج إلّا نتائجها» (ديوي، المنطق-نظرية البحث، ص 56)، وصرّح كذلك أنّه قد يطرأ على الذهن بأنّ: «ذلك يؤدي إلى التنقيص، ينقص من شأن المنطق يجعله عاجزًا عن أن يكون مستقلاً بذاته» (ديوي، المنطق-نظرية البحث، ص 56). ويستأنف في الموضوع نفسه قائلاً: «في الظاهر يبدو من غير الملائم للنظرية المنطقيّة أن تتشكّل تبعًا للمذهب الفلسفي واقعيًا أو مثاليًا، عقليًا أو تجريبيًا، ثنائيًا أو واحدًا، ذريًا أو كليًا عضويًا في منحاه الميتافيزيقي، ومع ذلك فحتى حين لا يفصح المؤلفون في المنطق عن ميولهم السابقة في اتجاهاتهم الفلسفية، فالتحليل يكشف عن تلك الرابطة (بين تلك الميول وما يذهبون إليه من نظرية منطقيّة)، بل قد يحدث في بعض الحالات أن تستعار أفكار من هذا المذهب الفلسفي أو ذاك لكي يتخذ منها صراحة "أسس" يقام عليها المنطق...» (ديوي، المنطق-نظرية

حميدة محلوس

البحث، ص 56)، هذا يوضح الارتباط بين المنطق والمذاهب الفلسفية لأصحاب النظريات المنطقية.

حسب وجهة نظره لا يمكن استثناء أي شكل من المنطق، فكلّ النظريات المنطقية توجّهها الأفكار الفلسفية واتجاهات أصحابها، ولعلّ هذا يفسر اختلاف أشكال المنطق، منطق أرسطو، منطق بيكون، منطق هيجل، منطق راسل... إلخ. من الواضح أنّ ما يحدث اختلافات بينها هو تلك الأسس التي بنيت عليها مثل هذه الأشكال المنطقية، سواء الأسس الفلسفية "الميتافيزيقية" أو الأسس الابدستيمولوجية "المعرفية"، فمثلا قد تبني على أساس الحدس كمنطق أرسطو Aristote (322-384 ق.م)، وقد تبني على الحدس كمنطق فرنسيس بيكون Francis Bacon (1561-1626)، وكلّ تغيير في الأسس يترتب عليه تغيير في شكل المنطق، والفكرة التي تتضح لنا جلياً، هي أنّ هناك ارتباط بين الفلسفة والمنطق، حيث بقيت تُبنى أشكال المنطق منذ القديم إلى أيامنا هذه تحت تأثير الاتجاهات الفلسفية لأصحابها، وخدمة لأغراضهم وفلسفاتهم التي انطلقوا منها، سواء صرّحوا بذلك أم لا.

ويتحدث جون ديوي John Dewey (1859-1952) في كتابه "المنطق (نظرية البحث)" عن ارتباط المنطق بالفلسفة وكذلك بالجانب الاجتماعي لتأكيد العلاقة بين المنطق وعلم الاجتماع، (ص 82 وما بعدها) وارتباطه بالجانب البيولوجي (ص 88 وما بعدها) والجانب الثقافي (ص 114 وما بعدها) (ديوي، المنطق-نظرية البحث، صفحات 82، 88، 114)، وكلّ ذلك يدلّ على تأثير هذه الجوانب المختلفة واتجاهاتها على المنطق، لكن البارز هو تأثير الاتجاهات الفلسفية في تشكيل أي نظرية منطقية أو تجديدها، لأنّ الاتجاه الفلسفي قد يشمل تأثير علوم أخرى ونظرياتها.

عنوان المقال: تأثير الفلسفة و اتجاهاتها في المسار التطوّري للمنطق التقليدي

ويبيّن تاريخ الدراسات المنطقية أنّ الكثير من التّظّريات المنطقية تعكس بشكل أو بآخر اتجاهات فلسفية معينة، فما يسمّى منطق ترنسندننتالي ومنطق وضعي ومنطق جدلي، دليل على تأثير فلسفات معينة عليها، حيث أُطلقت مثل هذه التسميات التي تعبّر عن الاتجاهات الفلسفية لأصحابها.

ثمّ إنّ القراءة المتعمّنة لتاريخ الدراسات المنطقية تدلّ على أنّ أغلب المحاولات الرامية إلى تطوير وإصلاح المنطق القديم التقليدي، أو الرّامية إلى إنشاء منطق جديد مختلف عنه كثيراً ما تنطلق من تصور جديد لبعض المشكلات الفلسفية، أو من خلال النظر بطريقة مختلفة للعلاقة بين المنطق والفلسفة، أو من خلال اتجاه فلسفي جديد.

فيبدو لنا مثلاً أن رفض فرنسيس بيكون للمنطق المدرسي المغرق في الصّورية، يعبّر عن احتجازه على إهمال ذلك الشكل من المنطق لشروط التطابق مع الواقع، ومحاولته لإقامة منطق تجريبي ترتبط بفلسفته، كما أنّ منطق هيجل G W Hegel (1831-1770)F الجدلي يرتبط بفلسفته، ومثلما وضّح ديوي في قوله أعلاه بأنّ نظرية المنطق تعبّر على وجهات نظر مختلفة إلى موضوعه باختلاف المذهب الذي تعبّر عنه، فالنتائج التي ينتهي المنطق إليها، غالباً ما تتخذ كأداة لتأييد تلك الفلسفات التي نتج عنها ذلك المنطق، هذا يؤكّد الصلة المتينة بين المنطق والفلسفة.

بما أنّ تاريخ الفلسفة يضمّ مذاهب ومدارس وتيارات فكرية مختلفة ومتعدّدة، وبما أنّ نظرية المنطق التي يقدمها كلّ فيلسوف ليست منفصلة عن الاتجاه العام للمدرسة التي يمثلها، فإنّ الدراسة المنطقية لأيّ فيلسوف تقدم نفسها على نحو أفضل إذا قامت أولاً بالإشارة إلى المرتكزات المعرفية والفلسفية الأساسية التي تستند إليها هذه النظرية المنطقية أو تلك، حيث ستوفر لنفسها أرضية مناسبة لفهم وتفسير ما تأتي به هذه النظرية المنطقية أو تلك من جديد (حمد، المنطق الصوري في المنظور التجريبي-جون ستوارت مل نموذجاً، ص 20).

وعليه يتأكد لدينا مثلاً أنّ هناك ارتباط بين ما قدمه جون ستيوارت مل John Stuart Mill (1806-1873) في المنطق بفلسفته التجريبية، رغم أنّه يدعي حيادية المنطق، وبين نيغل تأثّر مل في المنطق بفلسفته التجريبية بقوله: «... إن كتاباته في المنطق والموضوعات المتصلة به هي صياغة واضحة ونسقية للمبادئ المتضمنة في الفلسفة التجريبية البريطانية الحسية» (John Stuart Mill's Philosophy of Scientific Method, p XV Nagel E). فمل يعتبر المنطق علم يهتم بصورة الفكر ومادته، فيرفض التمييز بين مادة الفكر وصورته لهذا ربط المنطق بالجانب الحسي التجريبي.

وكذلك منطق بور رويال الذي وضعه أنطوان أرنولد (1612-1694م)-أو أرنولد الكبير- بالاشتراك مع بيير نيكول سنة 1660م، كان استثنافاً لكتابي ديكارث في المنهج "قواعد لتوجيه العقل" (1628م) و"بحث في منهج التعقل والبحث عن الحقيقة في كل العلوم" (1637م) فيكون منطق بور رويال استمراراً للتوجه المنهجي الديكارتي من جهة، وإعمالاً لهذا التوجه في انتقاد المنطق الراجح أيّ منطق أرسطو، (النقاري، في منطق بور رويال، ص 8-9)، وعليه يمكن الإقرار بأنّ ظهور منطق بور رويال كان تحت تأثير العقلانية الديكارتية، وهذا ما تصرّح به الدراسات المهمة بمنطقهم، وعليه يتبين لنا تأثّر المنطق وقواعده وأصوله وسيرورته بالفلسفة والميتافيزيقا.

3. النزعة النفسية

أما بالنسبة إلى النزعة النفسية وكذلك النزعة الاجتماعية لا نتحدث عنها قبل انفصال العلوم عن الفلسفة، هذه النزعات رافقت انفصال هذه العلوم في العصر الحديث، ومحاولة بعضها ضم المنطق إليها، حيث يعود توغل النزعة السيكلوجية في المنطق إلى أشكال مبكّرة في الفكر الفلسفي، فحاول جون لوك John Locke

عنوان المقال: تأثير الفلسفة و اتجاهاتها في المسار التطوّري للمنطق التقليدي

(1632-1764) تقديم أساس طبيعي للمعرفة، باعتبار الأفكار تمثّلات في العقل البشري، ممّا يجعل المعرفة والمنطق دراسة لظاهرة طبيعية سيكولوجية، أمّا ديكرت فقد رأى بأنّ الاستدلال ما هو إلّا علاقة بين الأفكار، ويحدث عند انتقال العقل من فكرة واضحة إلى أخرى، فلا يكون الاستدلال صحيحًا إلّا من خلال الحدس، وليس من قواعد الاستدلال الصوري (زكريا جميل، اتجاهات معاصرة في نظرية المعرفة، ص28)، ، ممّا أدّى إلى التعامل مع المنطق بشكل طبيعي وكأنّ العمليات المنطقية ترتدّ إلى عمليات نفسية، كما أنّه ردّ الحكم إلى العقل والإرادة، فيعتمد عليها في صحّته أو فساده، فتصبح الإرادة التي هي قوة سيكولوجية أساس الحكم (النشار، المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصورنا الحاضرة، ص 61-62).

لكن النزعة النفسية ممكن تصنيفها إلى شكلين: "الضعيف" و"القوي"، الضعيفة هي التي تتمسك بأنّ الأسس النّظرية الضرورية للمنطق تكمن في السيكولوجيا، أمّا القوية فهي التي تعتبر المنطق فرعًا من علم النفس (زكريا جميل، اتجاهات معاصرة في نظرية المعرفة، ص28).

وعمومًا النفسانية هي كلّ محاولة لإقحام التفسير النفسي في أي علم، وكانت هذه النزعة ذات أهمية في المنطق، لكون المنطق وعلم النفس يبحثان في موضوع واحد وهو الفكر، وبما أنّ "الفكر" الذي هو موضوع المنطق عملية نفسية، يمكن اعتبار المنطق جزء من علم النفس حسب أصحاب هذه النزعة.

لقد كان بروتاغوراس أوّل من هدم المنطق بل العقل من حيث هو عقل واعتبره مظهرًا نفسيًا ذاتيًا، وذلك من خلال عبارته المشهورة، "الإنسان مقياس الأشياء جميعًا" (زكريا جميل، اتجاهات معاصرة في نظرية المعرفة، ص29) ويعد ديكرت من أهم الفلاسفة الذين قدموا محاولة لرد المنطق إلى علم النفس (النشار، المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصورنا الحاضرة، ص 61).

حميدة محلوس

كما اعتبر كل من لوك وديكارت المنطق علمًا ذا عمليات عقلية بدلاً من أن يكون فرعًا علميًا معياريًا يهدف إلى التمييز بشكل موضوعي بين الاستدلال الصحيح وغير الصحيح؛ كما نجد هذا الاتجاه عند جون ستيوارت مل في كتابه "نسق المنطق"، حيث بنى منطقَه على دعائم نفسية، الدعامة الأولى "تداعي الخواطر" وهي ظاهرة سيكولوجية، تجمع بين ظاهرتين، بناءً على علاقة سيكولوجية من اقتران مطرد وتشابه، فنجد المعلول يدور مع العلة وجودًا واعدًا بمقتضى إطراد وقوع الحوادث وهو قانون نفساني (الطويل، جون ستوارت مل-نوابغ الفكر الغربي، ص 141)، وهكذا يرى مل أنّ المنطق ليس منفصلاً عن علم النفس أو متصلًا به، بل هو فرعًا من فروع علم النفس، بمعنى أنّه يدعو إلى النزعة النفسية بمعناها القوي.

الحقيقة أنّ الطابع السيكولوجي لا مفرّ منه، فالاستدلال الذي يُعدُّ لبّ النظرية المنطقية هو عملية تنطوي على جانب سيكولوجي هام، وحتى برتراند راسل قال بأنّ هناك جانبًا سيكولوجيًا في الاستدلال لا يمكن تجنّبه، لأنّ الاستدلال طريقة نصل بها إلى معرفة جديدة فالانتقال من تقرير (حكم) ق إلى تقرير ك هو عملية نفسية.(راسل، مقدمة للفلسفة الرياضية، ص 162)

وكان فرانز برنتانو(Franz Brentano) (1838-1917م) في محاضراته عن المنطق بوصفه نظرية للحكم الصحيح يبيّن أنّ المنطق يستعير قضاياها الأساسية من علم النفس وأنّ علم النفس هو الأساس الضروري والكافي له أيضا، أمّا إدموند هوسرل Edmund Husserl (1859-1938م) رغم أنّه من النفسانيين إلّا أنّ اهتمامه بالمنطق أدّى به إلى التخلي عن موقف أستاذه برنتانو فأنكر من بعد أن يكون من الممكن شرح الجانب الموضوعي في المعرفة بدءًا من مقدمات نفسية (سليم سلامة، الفينومينولوجيا-المنطق عند إدموند هوسرل، ص 120).

عنوان المقال: تأثير الفلسفة و اتجاهاتها في المسار التطوّري للمنطق التقليدي

لكن يبقى مجال الفروق بينهما واسعاً رغم تلك الارتباطات، خاصّة وأنّ علم النفس لا يهتم بصدق القضايا ولا بالصحّة المنطقية للاستدلالات والحجج، أمّا المنطق فيعالج الفكر من حيث اتساقه وصحّته المنطقية واتفاقه مع مقياس الصدق والكذب، لهذا جاءت معارضة الكثير من المناطقة للزّعة النفسية، لأنّ مجال المنطق صورة الفكر التي يتم التعبير عنها بالقضايا، ومعنى هذه القضايا وصدقها وكذبها والعلاقات المنطقية بينها هي ما يسمح بالاستدلال، والذهن بدوره يملك قدرة على التجريد ممّا يجعل القضايا تتصف بالعمومية.

ثم إنّ تركيز المنطق على بعض العلاقات الأساسية كعلاقة اللزوم يجعلنا نتساءل: هل هي نفسية؟ والواقع أنّها علاقة منطقية وليست نفسية، إذ يتضح جلياً في هذا الجانب أنّ المنطق يقترّب من الطابع التجريدي للرياضيات ولا صلة له بعلم النفس.

إدموند هوسرل كان من أهم الذين قدموا نقداً للزّعة النفسية في المنطق، إذ بيّن أنّ هناك تمييز واضح بين حقائق الواقع وحقائق العقل، بين الوقائع والماهيات، فالوقائع فردية جزئية، وجودها مُمكن، بينما الماهيات كلبية عامة ضرورية، وتترتب على هذا تصنيف العلوم إلى صنفين: علوم وقائع وهي العلوم التجريبية وإليها ينتمي علم النفس، وعلوم ماهيات ومنها المنطق الذي يمدّنا بقوانين ضرورية لا تتوقف على التجربة (الشنيطي، أسس المنطق و المنهج العلمي، ص 29).

على العموم لم يتأثر المنطق كثيراً بهذه الزّعة رغم بروزها في مرحلة انفصال العلوم الإنسانية عن الفلسفة، إلّا أنّها خمدت فيما بعد، فيمكننا القول بأنّه لم يكن علم النفس ولا الاتجاه النفسي ذا تأثير كبير على المنطق؛ وبعد هذه التوضيحات ننتقل إلى الزّعة الاجتماعية بهدف للبتّ عن مدى تأثيرها على المنطق، ولنتمكن كذلك من الحكم على مدى تأثير العلوم الإنسانية عامة على المنطق.

4. النزعة الاجتماعية

يذهب أصحاب هذه النزعة إلى القول بأنّ الإنسان كائن اجتماعي، وعلاقاته الاجتماعية ما هي إلاّ روابط بين عقول تتمثل في العقل الجمعي، وبمقتضى الإتفاق تتحدد المبادئ والأسس التي تنظّم سلوك أفراد المجتمع وعلى حد قول إدمون غوبلو (E. Goblot 1935-1958م): «إنّ فكرة الحقيقة لا يمكن تصورها ولا تفسيرها إلاّ بالحياة الاجتماعية، وبدونها فإنّ التفكير لا يمكن أن يتجاوز أبداً غايات الفرد، فيكون صالحاً أو طالحاً، ولا يكون صادقاً أو كاذباً» (غوبلو، علم المنطق، ص49).

ويقول كذلك: «المنطق يظهر تاريخياً في الصورة الاجتماعية التي هي صورة الحوار ويتسمّى بالجدال» (غوبلو، علم المنطق، ص54-55)، ويقول أيضاً: «ليس هناك حقيقة بالنسبة إلى التفكير الفردي، بل ليس هناك إلاّ اعتقادات ناجحة، حتى إنّ التفكير الفردي يبقى ضئيلاً بالنسبة إلى كائن لا يتكلم، والواقعة الاجتماعية شرط لكل تواصل فكري. إنّ للاعتقادات المشتركة دوراً اجتماعياً تقوم به قبل خضوعها لفحص نقدي يحكم عليها بالصدق أو الكذب» (غوبلو، علم المنطق، ص57).

أقواله هذه فيها تأكيد على أنّ المجتمع هو الأساس في الأحكام المنطقية، وأنّ الحقيقة ترتبط بالمجتمع، والمنطق يكتسي طابعاً اجتماعياً، يرتبط بوجود الأفراد في المجتمع وحوارهم وجدالهم وتواصلهم الفكري الذي لا يتحقق إلاّ في إطار المجتمع. والذين يعتقدون بأنّ المنطق ينشأ ويتطوّر تحت تأثير المجتمع، ينطلقون من اعتبار الحقيقة الفكرية حقيقة اجتماعية، فهي ليست اعتقاد ذاتي بل حقيقة موضوعية تتفق عليها الجماعة، فالإنسان لا يستمد من الجماعة عاداته العملية فحسب، بل يستمد أيضاً عاداته العقلية والفكرية، ففكرة الحق والصواب عبارة عن

عنوان المقال: تأثير الفلسفة و اتجاهاتها في المسار التطوّري للمنطق التقليدي

تعبيرات اجتماعية، فالمنطق في نظرهم هو المناهج الفكرية التي تضعها الجماعات الإنسانية خلال تطورها التاريخي، فهي تعبير عن الوظائف الفكرية للعقل الجمعي حيث صدرت عن الجماعة أدق التعبيرات المنطقية، مثل "الجنس" النوع" (النشار، المنطق الصوري من أرسطو إلى عصورنا الحاضرة، ص 65-66).

فكلّ قواعد المنطق تردّ إلى قوانين التطوُّر الجمعي وبهذا تتطابق الفكرة مع ما جاء به أوغست كنت Auguste Comte (1798-1857م) في أنّ المنطق خاضع لعلم الاجتماع، ونجد كذلك أن ليفي برول Lucien Lévy-Bruhl (1857-1939م) وهو من علماء الاجتماع يتكلّم عن العقلية البدائية أو ما قبل المنطق، وكأتمها تأكيد لأصحاب النزعة السوسولوجية المنطقية، فالفكر المنطقي في رأيه يسير وفق تطوُّر المجتمع من الأشكال الأولية البسيطة أي البدائية إلى الأكثر تحضراً ويصاحب هذا التطوُّر تطوُّراً في الفكر ونشاطات العقل.

وعموماً يكاد يجمع علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا على الفكرة ومنهم إيميل دوركايم Émile Durkheim (1850-1917) يقرّر بأنّ المقولات العقلية الأساسية ما هي إلا نتاج المجتمع وأنّ الجماعة هي التي انبثقت منها أسس التفكير المنطقي. لكن هذه النزعة مثلها مثل النزعة النفسية ظهرت إثر انفصال العلوم الإنسانية عن الفلسفة، وانتقدت كذلك خاصة لكون العلم من نتاج العقل وليس جمعياً، فالإنسان ليس عاقلاً ومنطقياً لأنّه حيوان اجتماعي بل هو اجتماعي لكونه كائن عاقل، فيكون العقل والمنطق سبب الاجتماع وليس العكس، فليس الاجتماع هو ما يؤدي إلى تشكيل الفكر المنطقي كنتيجة له.

وعليه يتبين لنا من خلال النزعتين: النفسية والاجتماعية بأن علمي النفس والاجتماع يعتبران من أهم العلوم الإنسانية، التي حاولت ضم المنطق إليها، لكنّها لم تنجح كثيراً في مسعاها.

5. النزعة اللغوية

إذا كانت النزعتين النفسية والاجتماعية حديثي العهد، فإنّ النزعة اللغوية قديمة قدم المنطق ذاته، ذلك أنّ المنطق في أوّل شكل له ارتبط باللغة، واستمر ارتباطه بها، سواء كانت لغة طبيعية أو لغة اصطناعية رمزية، لهذا ظهرت النزعة اللغوية بشكل مبكر في المنطق، وكثيراً ما لقيت التأييد والاستجابة من المناطق، وفي ذات الوقت لقيت الرفض من البعض منهم.

لقد كانت اللغة القاموسية هي القالب الذي ينصبّ فيه الفكر، فهي أداة التعبير عن الفكر بل إنّ اللّغة والمنطق أو الكلام مصدر اشتقاق كلمة منطق، حتى تكاد تتطابق اللغة والفكر في مباحث المنطق كالحدود والألفاظ والتصورات والتعريفات.

إنّ توكيد هذه العلاقة أبرز تفسيرات مختلفة وتأويلات متعددة من المناطق من ناحية ومن النحويين من ناحية أخرى، والفكر بدوره يؤثر في اللّغة ويتأثر بها، ومادام المنطق يُعنى بضبط الفكر، ومن هنا كانت عنايته بالحدود المنطقية والأحكام والقضايا هي في الوقت ذاته عناية بألفاظ اللغة وتراكيبها، لذلك لا نعجب من قول أبو حيان التوحيدي في المقابسات " أن النحو منطق لغوي والمنطق نحو عقلي"، فهذه العبارة تؤكد على العلاقة الوثيقة بين العلمين (اللغة -أو النحو- والمنطق) لكن اختلفت الآراء في ذلك (الشنيطي، أسس المنطق و المنهج العلمي، ص 31).

لقد كانت الصلة بين المنطق واللغة واضحة في منطق أرسطو، إلا أنّ المباحث المنطقية كانت شديدة الارتباط بما بعد الطبيعة، أمّا عند الرواقيين فكان هناك حرص شديد على تعميق صلة المنطق بالنحو، فجاءت مباحث المنطق شاملة للمباحث الخطابية التي دعوها نظرية القول المتصل، والجدل هو القول المنفصل بين السائل والمجيب، وتركز اهتمامهم على الجدل فكان يتألف من مبحثين: المبحث

عنوان المقال: تأثير الفلسفة و اتجاهاتها في المسار التطوّري للمنطق التقليدي

اللغوي الخاص بالتعبير والمبحث الفكري الخاص بالمضمون العقلي المعبر عنه (عثمان أمين، الفلسفة الرواقية، ص 108).

واهتم الكثير من مفكري الإسلام بدراسة الصلة بين المنطق واللغة مثلما هو الشأن عند كل من الفارابي وأبو حيان التوحيدي (310-410هـ/922-1032م)، حيث نصادف عند المسلمين أبحاث كثيرة تعالج مثل تلك الموضوعات التي تدل على الارتباط القائم بين المنطق واللغة، وتوالت الأبحاث عند جماعة بور رويال، واستمر انتشار هذا الاتجاه في القرن الثامن عشر، وكذلك انتشر اتجاه آخر يرى أنّ قواعد المنطق تستخلص من خلال استخدام اللغة . (الشنيطي، أسس المنطق و المنهج العلمي، ص 36).

فباللغة أداة للتواصل والتعبير عن الأفكار، وبما أنّ الفكر يحتاج إلى ألفاظ اللغة وتركيباتها، فإنّ الاتصال بينهما جد وثيق، وهذا الارتباط هو ما جعل البعض يعتبر المنطق تابعا للغة، ويغلب الظن أنّ العلاقة بينهما قائمة منذ السوفسطائيين واستمر عند أرسطو، لكن نشأت اختلافات في تصوّر العلاقة القائمة بينهما؛ كما نلاحظ تزايد الاهتمام بالارتباط بينهما في المرحلة المعاصرة، فازدهرت فلسفة اللغة وتطور المنطق كذلك، وكان من نتائج ذلك تطور المنطق نحو ابتكار لغات رمزية في المنطق.

6. الوضعية المنطقية

ترجع أصول الوضعية إلى إرهابات سابقة على (أوجست كونت صاحب الفلسفة الوضعية، الذي ضمّن فلسفته في كتابه "دروس في الفلسفة الوضعية" حيث يقرّر بأنّ أي نظرية علمية تدعى إمكان معرفة حقيقة الظاهرة أو الواقع وتنحرف إلى الميتافيزيقا فهذا مرفوض تماما- في رأيه- لأنّ العلم يُعنى بكيفية حدوث الظاهرة لا بحقيقتها، وكما يوضح جون ستيوارت مل بأننا لا نعرف جوهر أو حقيقة الظاهرة أو الواقعية وإنّما نعرف فقط علاقتها بالظواهر والوقائع الأخرى حسب نوع العلاقة،

حميدة محلوس

سواء كانت تالية لها أو متساوية الوجود معها (نظمي سالم، المنطق الحديث و فلسفة العلوم و مناهج البحث، ص 49)، أو بمعنى آخر كلّ ما يهمننا هو تفسير تلك العلاقات بين الظواهر بمنهج وضعي من خلال معطيات الخبرة المباشرة.

وفي رأيهم أنّ كلّ نظرية علمية لها مقابل موضوعي من الوقائع والخبرة المباشرة، أو بمعنى آخر أنّ لكلّ قضية معادل موضوعي مستمد من الخبرة المباشرة، ويعطى شيليك F. A. Mourtiz Schlick (1882-1936م) مثلاً على ذلك من قضايا العلم التجريبي وهي (الحديد يتمدد بالحرارة)، معيار التحقق من القضية هو التجربة أو الخبرة المباشرة، ويعقب شيليك على مفردات كقولنا (يتمدد) أو (أكبر من)... إلخ، من الألفاظ الدالة على علاقات منطقية دون أن نشير إلى وقائع مادية أو خبرات مباشرة (نظمي سالم، المنطق الحديث و فلسفة العلوم و مناهج البحث، ص 51)، لهذا كانت قضايا العلم في رأي المناطقة الوضعيين، ذات طابع نسبي قابلة للتعديل من خلال معيار الملاحظة أو التجربة أو الخبرة المباشرة.

وبعد ازدهار المنطق مع فريجه وراسل ووايتهد اكتسبت الأبحاث المنطقية التي تتعلق بالمنطق الرياضي أو الرمزي اهتمام فلاسفة الوضعية المنطقية، ويتجلى ذلك في التسمية "الوضعية المنطقية" "الوضعية المنطقية الجديدة" "التجريبية المنطقية". وهذا لتمييز هذه الفلسفة عن وضعية أوغست كونت (الحاج حسن، رودولف كارناب نهاية الوضعية المنطقية، ص 14).

كما تؤكد الوضعية المنطقية "مبدأ الاحتمال" في القضايا العلمية، فلا صدق أو كذب مطلق في قضايا العلم، ما أدى إلى تعزيز فكرة الاحتمال و تعدد القيم في المنطق. وإضافة إلى الوضعية المنطقية التي ميزت الفكر المعاصر ظهرت كذلك "البنائية المنطقية" وفي الحقيقة عرف الفكر الحديث والمعاصر اتجاهات كثيرة حاولت ردّ المنطق إليها أو صبغ المنطق بصبغتها وتفاوتت درجة تأثيرها.

عنوان المقال: تأثير الفلسفة و اتجاهاتها في المسار التطوّري للمنطق التقليدي

لكن نشير إلى أن هناك اتجاهات إخرى كان لها الحظ الأوفر في رسم الخطوات الأولى للمنطق المعاصر وهي المرتبطة بالرياضيات، وهي ما يطلق عليها بـ "الزعة الرياضية" فهي تحاول ربط المنطق بالرياضيات، لكنّها ليست اتجاه واحد بل لها أشكال متعددة أهمها: "مذهب التشابه الظاهري"، "الجبرية" (جبر المنطق الذي يرجع إلى جورج بول)، "المنطقانية"، "الأكسيوماتكية" أو "الصورانية"، كل هذه الاتجاهات كانت ذات أثر على المنطق ما سمح بتأسيس المنطق المعاصر، لكن لا يسعنا التفصيل فيها في هذا المقال.

نلاحظ أنّ بعض تلك الاتجاهات (الزعات) قديمة، لكن أغلبها ظهر في فترة انفصال العلوم ونهضتها، بعضها زالت وضمحلّ أثرها، إذ بقيت في حدود الفلسفة ولم تخرج عنها، لكن بعضها تطوّرت نحو الاكتمال والنضج شيئاً فشيئاً وازداد تأثيرها واستمرّ إلى الفترة المعاصرة التي عرفت نقلة نوعية بفضل تلك الاتجاهات، فظهر ما يسمّى بالمنطق المعاصر في شكله الرمزي أو الرياضي.

أما التصور القديم يعني أنّ المنطق يخدم العلوم، ولا يمكنه أن يخدمها إلاّ إذا كان في مستوى تطوّرها منسجماً معها في المنطلقات والمبادئ العامة، لهذا كان على الدوام يتأثر بالاتجاهات الفلسفية وكذلك بالعلوم الأخرى، وبما أنّ المنطق وُضع ليكون مدخلاً ضرورياً قبل دراسة أي علم من العلوم، فإنّ مختلف العلوم تحتاج إليه ويكون خادماً لها، لكن بالنظر إلى التطورات الحاصلة في الفلسفة ومختلف العلوم التي انفصلت عنها في مرحلة لاحقة، وعلى إثر ذلك، نحن لا نتوقع منها أن تبقى في حاجة إلى منطق زاول نفسه وبقي على حالته القديمة، لهذا كان مسار المنطق وتطوراته خاضعاً لبعض التأثيرات من الفلسفة واتجاهاتها سواء في مرحلة موسوعية الفلسفة أو في مرحلة انفصال مختلف العلوم عن الفلسفة، ففي كلا المرحلتين كانت سيرورة المنطق وتطوراته تقع تحت تأثير الاتجاهات الفلسفية التي تجاذبت أطرافه و أثرت عليه بأشكال مختلفة.

رغم تلك التأثيرات ساد نموذج أرسطو في المنطق لمدة تقارب أربعة وعشرين قرناً، ممّا يعني أنّ المنطق بعد أرسطو أصابه نوعاً من الجمود والبطء في التّقدم ودام حاله ذلك طويلاً، ولكنّه لم يعرف السكون، حيث قُدمت الكثير من البحوث التي جاءت فيها الكثير من الاقتراحات والانتقادات والتعديلات التي تراكمت شيئاً فشيئاً فشكّلت على ما يبدو لنا قاعدة أساسية لبعض المناطق استندوا إليها للمضي بالمنطق نحو آفاق أخرى بإمكانها أن تخطو به نحو مرحلة جديدة، حوّلته إلى أكثر العلوم ازدهارا وحركيةً.

7. خاتمة

نستنتج بأنّ المنطق كان دائماً موجّهًا بالأفكار الفلسفية واتجاهات الفلاسفة التي كانت تغبّر في منحنى البحث المنطقي وأهدافه، وكان للنزعات الفلسفية أثراً كبيراً على المسار التطوري له، حيث تبين لنا عموماً أن المنطق في بدايته عند اليونان ارتبط أكثر بالميتافيزيقا أو بالفلسفة عموماً، وتأثر بعد ذلك ببعض العلوم التي انفصلت عن الفلسفة ومناهجها والاتجاهات التي رافقتها، وبعد إخفاقه في التطور والتشكل وفقاً للعلوم التجريبية والاتجاهات الفلسفية، عاد إلى تعزيز ارتباطه بالرياضيات فظهر المنطق الرياضي الرمزي، و بما أنه عند انفصال العلوم عن الفلسفة لم ينفصل المنطق ويستقل بذاته كغيره من العلوم بشكل قاطع، حيث ظهرت اتجاهات عديدة بدا وكأَنَّها تتنازع على ضم المنطق إليها، فعندما أخذت العلوم تتطور مستقلة عن الفلسفة واحدة تلو الأخرى بدءاً بالعلوم الطبيعية ثم العلوم الإنسانية ومنها علم النفس وعلم الاجتماع، حاولت بعضها ضمّ المنطق إليها.

وفي الأخير نقول أنّ مجال البحث يرتبط بتأثير و علاقة كل من الفلسفة ومختلف العلوم بالمنطق في شكله التقليدي وكذلك المعاصر يعد من المواضيع

عنوان المقال: تأثير الفلسفة و اتجاهاتها في المسار التطوّري للمنطق التقليدي

الابستمولوجية الراهنة، وهو مجال بحث ثري ومتجدد يمكن مقارنته من زوايا مختلفة.

8- قائمة المراجع:

- غوبلو، (1433 هـ / 2012م). علم المنطق، تقديم إميل بوترو، ترجمة محمود يعقوبي، ط1، دار الكتاب الحديث.
- انصاف حمد، (2001). المنطق الصوري في المنظور التجريبي جون ستوارت مل نموذجاً (ط1) تقديم طيب تيزاني، دمشق: دار السوسن.
- برتراند راسل (1980). مقدمة للفلسفة الرياضية، ترجمة محمد مرسي أحمد، مراجعة أحمد فؤاد الأهواني، القاهرة: مؤسسة سجل العرب.
- توفيق الطويل، (1998). جون ستوارت مل، نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف.
- جون ديوي، (2010). المنطق (نظرية البحث)، ترجمة وتصدير وتعليق زكي نجيب محمود، تقديم عبد الرشيد الصادق محمودي، القاهرة: المركز العربي القومي للترجمة، القاهرة.
- حمو النقاري، (2013). في منطق بور روايال، (ط1) بيروت، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- سامي النشار، (2000). المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصورنا الحاضرة، ط5، دار المعرفة، الجامعية.
- عثمان أمين، (1909). الفلسفة الرواقية، (ط2)، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، .
- محمد عزيز نظمي سالم (2002). المنطق الحديث وفلسفة العلوم ومناهج البحث، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

حميدة محلوس

- محمد فتحي الشنيطي (1970). *أسس المنطق والمنهج العلمي*، بيروت لبنان: دار النهضة العربية.
- وداد الحاج حسن، (2001). *رودولف كارناب نهاية الوضعية المنطقية*، (ط1)، الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- يوسف سليم سلامة، (2007). *المنطق عند إدمون هوسرل*، بيروت لبنان: دار التنوير ودار الفارابي.